مرشد الزبيدي

خواطر عن رحلة التعب والانتظار

ظننتكِ تأتينني
غير ان قطار المساء تباطأ في المشي
قد حمل العائدون دواء السنين بأكتافهم
مبروا المدن الضيقات
الصحارى
وواحاتها
كنتِ بين الجنود الذين
يرافقهم تعب الرحلة الثالثه ...

* * *

تباطأتِ في الركض
اني اشمك بين قميصي
وبين انثناءات هدبي
وأدعوكِ أن ترقدي الليل عندي
فهذا الشتاء الرهيب
يخبىء لي مقعدا أسود الجنبات
عليه رسوم أميز من بينها صورة لمليك
واخرى لرب تكلم باسم أبي
وتكلم باسم صغيري الذي قد يجيء صباحا ...

* * *

ظننتكِ قد جئتني حين كان القميص
يراقب ما بين ثغري وصدركِ
اشتاقكِ الآن رغم الحواجز
والشرطة القابعين وراء بنادقهم
ورغم مئات السنين التي عبرت بيننا ...

* * *

سأرقبكِ الليل حتى انطفاء المصابيح
قد تنثرين التراب
على وجه حارسكِ الملكي
فيغفو —
وتأتينني في القطار السريع
فحينئذ قد تذوب المسافات
والجند لا يطرقون حياء
يعرّون صدركِ ، تبتسمين
فترتبك الريح بين الشمال وبين الجنوب
وتأتينني في الشتاء الربيعي
افرش خدّي وردا لحجليكِ
أشرب نخب صحابي الذين توارروا
وفي ليلة العرس
أعلن ان التي رضعت ثدي أمي
تراءت وراء الشموع
كظلّ النخيل ...

بغداد

واما فصة (اهلا) فهي لولا فقرات سردية موجزة يمكن تذويبها عودة الى هذا النمط الكلاسيكي المهجور في الاقصوصة : قصة الحوار ... فهي حوار حاد ذو دلالة يفضي فيه الجدل بين النقيضين الى اضاءة الموقف واكتشاف ابعاده . ونبدو (اهلا) وكأنها صفحات مستلة من رواية (خب تحت المطر) ، فهذا البك الثري وصباغ الاحذية المعدم اللذان كافحا منذ عشرين عاما عدوا واحدا هو الفقر على اختلاف موقعهما منه ، يمكن ان يكونا حسني حجازي والشيخ عشماوي في رواية نجيب الاخيرة . ان الكاتب يستعين بطريقة التقابل والتضاد لتوصيل رؤيته السياسية عبر صوتين يلتقيان ويبتعدان : صوت يفضح ويشكو ويسخر ، وصوت يبرر ويسوّف ويخدع :

— يا بك .. انا اريد النصر والحياة المعقولة .. ومتى يتم ذلك ؟
— لا ادري متى .. ولكنه يتم بالصبر والعمل والاخلاص . ص ١٨٨

لقد دالت دولة الاقطاع ليظهر اقطاع اخر يتربع على قمته سادة جدد ، وازدادت احوال الجماهير المعدمة سوءا ، فلا يلقى صباغ الاحذية الا شاكيا مثله . وحين انتهت رفصة الطبقات الوطنية للثورة افترقت بها السبل : واحدة الى امتلاك كل شيء ، والبقية الى العوز والضياع والحيرة والحلم ، (وما زال المالك يملك الحظ كله — ص ١٨٦) .

بين العري والغضب يعلن الشاهد الدؤوب عجزه او انسحابه الموقت ، بعد جولة تنقيب كاشفة لكن عقيمة .. فالقضية بلغت حدا من التراكب والتعقيد لا لقاء فيه ولا تكافؤ بين الحس الاخلاقي الفردي ، وبين التواطؤ الشامل على ان يبقى كل شيء ما هو فيه عمى وقبحا وضلالا .. ومع ذلك ، فان المبادرة تبقى ممكنة ومجدية حين يبدأ الزلزال او الطوفان ، فلئن لم يعد ممكنا هدم البناء واعادة تشييده ، فلا اقل من انقاذ ما يمكن انقاذه فيه .

بغداد